العِقْد

بقلم: غاي دو ماوْبُسُّون (1884)
ترجمة: عبَّاد ديرانية

كانت السيدة لُوِيزِيلْ من الفتيات الجميلات والبهجيات اللاتي، وكأنَّ القدر ناقمٌ عليهنّ، يولدنَ في عائلاتٍ كادحة. فلم تَكُن عندها مُخصَّصاتٌ للزواج، ولم يَكُن لها مستقبل واعد، ولا وسيلة ليعرفها أو يهتمَّ بها أو يُحبَّها رجلٌ من مقام رفيع وثري: ولذلك ارتضت بالزواج من مُوظَّفٍ بسيط الحال في وزارة التعليم. كانت ممتلكاتها متواضعةً لأنها لم تكُن قادرةً على الحصول على ما هو أفضلُ منها، إلا أنَّها كانت تعيسة كما لو أنَّها تزوَّجت من مقام أدنى منها، وذلك لأن النساء لا يُبالين بطبقهِنَّ الاجتماعية، بل هُنَّ يستمدن أهميتهنَّ من جمالهنّ، وبهائهنّ، ورُقيّ سلوكياتهنّ، وسرعة بديهتهنّ، فمثل هذه السِّمات - إن اجتمعت معاً - تكفي لتجعل فتاة الحقل مثيلةً لأرقى السيّدات الثريَّات.

ولكنَّها كانت حزينةً على الدَّوام، لأنَّها شعرت بأنَّ من حقِّها أن تترعرعَ ولديها كلُّ سُبُل الرَّفاه والرَّاحة. كانت حزينة لفَقْر بيتها، ولكآبة جدرانه، ولكراسيه المهترئة، ولستائره القبيحة. لم تَكُن أيُّ امرأة أخرى من طبقتها لتهتمَّ بكلِّ هذه الأشياء، ولكنها تعذَّبت وعانَتْ بسببها. كان مظهر خادمتها القرويَّة الشابة، التي تؤدِّي فرُوضَها المنزليَّة بدلاً عنها، يثير في نفسها حسرةً أكثر فحسب. كانت تجلسُ وتتخيَّلُ أن لديها غرفة تحف هادئة عُلِّقَت على جدرانها أقمشة صينيَّة فاخرة، ويُضيئها شمعدان برونزي طويل، ويجلسُ فيها تمثالان شمعيَّان كبيران لجُنديَّيْ مُشَاة ينامان في كُرسِيَّيْن واسِعَيْن، ويصيبهما الدوار من الهواء الساخن المنبعث من المدفئة. ومن ثمَّ كانت تتصوَّرُ غرفة استقبالها الطويلة المُزيَّنة بالحرير العتيق، والمُجهَّزة بأثاثٍ فاخرٍ فيه أثمن المجوهرات، وبغرفتها الخاصَّة ذات الرائحة العطرة التي تتبادلُ فيها الأحاديث - بعد الساعة الخامسة عصراً - مع صديقاتها المُقرَّبات، ومع رجالٍ مشهورين ومعروفين ترغبُ كلُّ النساء الأخريات بصداقتهم، ويحسدنها على أسر انتباهِهم.

ومن ثمَّ جلست قبالة زوجها، في بيتها الحقيقي، إلى طاولة غداءٍ مُدوَّرة مُغطَّاةٍ بقماشٍ عمره ثلاثة أيَّام، فبادرَ هذا إلى رفع غطاء وعاء الحساء قائلاً بنبرةٍ سعيدة: "آه، حساء *البوت أو فو* الرَّائع! لا يمكن أن أحلم بأفضل منه"، وعندها فكَّرَت هيَ بما تكونُ عليه موائد الغداء الفاخرة، وبالأواني الفضيَّة اللامعة فوقها، وبالأقمشة التي تُزيِّن الجدران بصور لأشخاصٍ عظماء قدامى ولطيورٍ خلاّبة تحومُ في غاباتٍ خياليَّة، وتبادرت إلى ذهنها الأطعمة اللَّذيذةُ التي تُقدَّم على أطباقٍ فاخرة، والأنغامُ الرَّقيقةُ التي تَستمعُ لها مبتسمةً وهي تتناولُ لحماً ورديا لسمكة تروتة أو جناحاً لطائر سُمَّان.

ولكنها لم تكُن لديها ملابس، ولا مجوهراتٌ، ولا أيُّ شيء. ولم تَكُن ترغبُ بشيءٍ سوى هذه الأشياء، فقد شعرت بأنَّها خُلِقَت لها، وكانت ترغبُ بأن تكون محبوبة، ومعروفة، ومحسودةً على ما لديها من ملذّات.

وقد كانت عندها صديقة ثريَّة، التقت بها في أيَّام المدرسة، إلا أنَّها لم تَعُد ترغبُ برؤيتها أو زيارتها لما تُصَاب به من حسرةٍ عندما تعُود من هناك إلى منزلها الكئيب.

وفي أحد الأيام عاد زوجها إلى المنزل مبتهجاً، حاملاً في يده مظروفاً كبيراً.
قال لها: "هاكِ، هذه هديَّة لك".
وتناولت المظروف ومزَّقت غلافهُ بسُرعة، فوجدت في داخله بطاقة مطبوعةً تقول:

"السيد وزير التعليم، وزوجته المدام رامبونيو، يدعوان حضرة السيد والسيدة لُوِيْزِل للقدوم إلى حفل عشاءٍ في الوزارة مساء يوم الإثنين، الثامن من يناير".

وعوضاً عن أن تسعدَ بما جاءها، كما كان زوجها يأمل، رمت السيدة لويزل الرسالة على الطاولة حانقةً وهي تُتَمْتِم: "ماذا تظنّني فاعلةً بهذه الدعوة؟".
"ولكن، يا عزيزتي، اعتقدتُ أنك ستبتهجين. أنتِ دائماً في المنزل، والآن لديك فرصةٌ لحضور مناسبة مُهمَّة! لقد بذلتُ جهداً جهيداً حتى جئتُك بهذه الدعوة، فكلّ أهل البلدة يريدون مثلها، ولم يحصُل عليها الكثير من البسطاء أمثالي".
ونظرت إليه زوجته بضغبٍ ونفاد صبر قائلة: "ماذا تتوقَّع مني أن أرتدي لأذهبَ إلى هناك؟".
ولم يَكُن قد فكَّر بهذا. فتلعثم قائلاً: "لديك ثوب السَّهرة ذاك، أراهُ جميلاً عليكِ..".
ومن ثمَّ توقف منذهلاً عندما انتبهَ إلى أنَّ زوجته انفجرت باكية، ونزلت الدموع على خدَّيْها. فقال لها مواسياً: "ما الأمر؟ ما الذي يزعجك؟".
وبذلت جهداً كبيراً لتتمالك نفسها، ومن ثمَّ أخذت تمسحُ وجنتيها المُبلَّلتَيْن وهي تقول بهدوء: "لا شيء، لا شيء سوى أنّه ليست لديَّ أيُّ ملابس لأرتديها، ولذلك لا أستطيع الذهاب إلى الحفل. أرجوك، أعطِ هذه الدعوة لشخصٍ آخر تعرفه، واحرص على أن تكون عندَ زوجته ثياب لطيفة لتلبسها في الحفل".
فأجاب متوتراً: "أنتِ مُحقَّة يا ماتيليد. كم سيُكلِّفك شراء ثوب جديد؟ ثوب معقول بحيثُ تستطيعين ارتداءه لمناسبات عديدة وليس لهذه فقط".
واستغرقت في التفكير للحظات، محاولةً أن تجدَ مبلغاً يمكنها طلبه من زوجها - ذي الحال المتواضعة - دونَ أن تثير الرُّعبَ في نفسه.
ومن ثمَّ قالت مُتردِّدة: "لا أدري تماماً، ولكني أظنُّ أني أستطيع تدبّر الأمر بأربعمئة فرنك".
وشحب وجهُهُ قليلاً لدى سماعه هذه الكلمات، لأنَّه كان قد ادَّخَرَ هذا المبلغ تماماً ليشتريَ لنفسه بندقية، يستطيعُ فيها مشاركة أصدقائه - في الصيف القادم - بصيد الطيور أيَّام الآحاد.
إلا أنَّه قال: "حسنٌ جداً، سأعطيكِ أربعمئة فرنك، على أن تأتي معها بثوبٍ جميل".

ولكن مع اقتراب يوم الحفل بدت السيدة لويزل حزينة، ومتوترة الأعصاب، وغير مرتاحة، رُغم أنَّ ثوبها الجديد أصبحَ جاهزاً. فسألها زوجها ذات ليلة: "ما هي المشكلة؟ أنتِ تتصرَّفين بغرابة منذ أيام".
فأجابت: "الأمر فظيع، ليست عندي أيُّ حليٍّ لأرتديها، فليست لدي جوهرة واحدة، ولا شيء لأزيِّن به ردائي. سأبدو مثل المتشرِّدات. في الواقع، من الأفضل لي أن لا أذهب إلى الحفل على الإطلاق".
قال زوجها: "بإمكانك أن ترتدي عقداً من الأزهار، فهي أحدثُ صيحةٍ هذا العام.أستطيعُ أن أشتري لكِ بضع وردات جميلة بعشرة فرنكات فقط".
إلا أنَّها لم تقتنع. قالت: "لا، ليس ثمَّة ما هو أكثرُ إذلالاً من ارتداء شيءٍ رثّ كهذا، بين سيِّداتٍ ثريَّات".
فهتف زوجها: "وجدتُها! لماذا لا تذهبين إلى صديقتك السيدة فوريستير وتخبريها أن تُعِيركِ شيئاً تلبسينه؟ فأنتِ تعرفينها بما يكفي لتطلبي منها ذلك".
وصاحت زوجته بسعادةٍ قائلة: "أنتَ مُحِقّ، لم أفكّر بذلك".
ذهبت السيدة لويزل في الصباح التالي إلى صديقتها، وحدَّثتها عن مشكلتها. وفتحت السيدة فوريستير خزانتها ذات المرايا وجلبت منها صندوق حليّ كبير، ومن ثمَّ فتحتهُ وقالت: "اختاري ما تشائين يا عزيزتي".
ورأت السيدة لويزل في الصندوق أساور، وعقداً من اللؤلؤ، وصليباً من مدينة البندقية مُرصَّعاً بالمجوهرات والذهب بدقَّة بالغة. وارتدت الحليَّ واحدةً تلو الأخرى أمام المرآة، إلا أنَّها أُصِيبت بالحيرة، فقد ظلَّت تسألُ صديقتها: "هل لديك شيءٌ آخر؟".
فأجابت: "بالتأكيد، ابحثي بينها كما ترغبين حتى تجدي ما يُعجِبُك".
وعندها انتبهت السيدة لويزل - فجأةً - إلى صندوقٍ أملسَ أسودِ اللون، وُضِعَ في داخله عقد رائعٌ من الألماس، وخفق قلبها من شِدَّة رغبتها به. فمدَّت يدها إليه وهي ترتجف، ووضعته حول رقبتها، ثُمَّ تأمَّلت بريقه عليها، ونظرت إلى نفسها بزَهْو.
وأخيراً سألت، متردِّدة ومتوتّرة: "هل لي آن آخُذَ هذا، ولا شيء سواه؟".
قالت صديقتها: "بالتأكيد يمكنك".

فقفزت من الفرحة وعانقت صديقتها بسعادة، وأسرعت خارجة.

وحلَّت ليلة الحفل، وحلَّ معها انتصارُ السيدة لويزل. فقد كانت أجملَ من كلِّ النساء الأخريات هناك، إذ كانت أنيقة، وبهيَّة، ومبتسمة، ومفعمة بالفرحة. وقد حدَّقَ بها جميعُ الرجال، وسألوا عنها، ورغبوا بأن يتعرَّفُوا إليها. واصطفَّ كلُّ الأشخاص المُهمِّين في طابورٍ لمُرَاقصتها. بل وقد تركَّزت عليها عينا وزير التعليم نفسه.
رقصت السيدة لويزل ببراعةٍ وإتقان، وهي ممتلئة بالسعادة، دونَ أن تُفكِّر شيءٍ سوى اللحظة الآنية. كانت مستغرقةً في التلذّذ بروعة جمالها، وكسبها محط الأنظار والاهتمام، ونجاح كلِّ مساعيها ورغباتها، إذ أنَّها حقَّقت لنفسها نصراً مذهلاً جداً كانت لتحلمَ به كلُّ سيِّدة أخرى.
ولم تنصرف من الحفلة حتى الساعة الرابعة صباحاً. كان زوجها قد خلد إلى النوم، منذ منتصف الليل، في غرفة صغيرة خاوية استلقى بها ثلاثة رجالٍ آخرون، بينما استمتعت زوجاتهم - بالمثل - بالحفل المتأخّر.
كان زوجها قد جلبَ معه شالاً ليُغطِّيها به عند عودتهما، فألقى به على كتفيها، وكان شالاً متواضعاً يُلْبَسُ للمناسبات العاديَّة، إذ بدا مظهره الرثّ متناقضاً تماماً مع روعة ملابس السيدة لويزل. وقد شعرت هي بهذا على الفَوْر فأسرعت خارجةً كي لا تلحظها السيِّداتُ الأخريات، اللاتي خرجنَ مرتدياتٍ فروا فاخراً على أكتافِهِنّ.
وحاول زوجها إيقافها قائلاً: "انتظري قليلاً، ستُصَابين بالبرد في الخارج، لذا دعيني آتي إليك بعربة".
ولكنَّها لم تهتمَّ بكلامه وأسرعت لتنزلَ الدرجات. وعندما وصلا إلى الشارع أدركا أنَّه ما من عرباتٍ في تلك السَّاعة، فحاولا الحصول على توصيلةٍ بمناداة سائقي العربات البعيدين.
ابتدءا بالسَّير نحو نهر السِّين وهما يائسان ومرتجفان من البرد. وأخيراً وجدا على الرَّصيف عربةً عتيقة من العربات الليليَّة، التي لا تظهرُ في باريس إلا بعد حُلول الظلام، وكأنَّ سائقيها يخجلونَ من مظهرها المهترئ نهاراً.
وأوصلتهما العربة إلى باب بيتهما في شارع الشهداء، وصعدا الأدراج إلى شقتهما في تعاسة. وكانت هذه، بالنسبة إليها، نهاية كلَّ شيء. وأما بالنسبة لزوجها، فهو فلم يستطع التفكير بشيء سوى بأنَّ عمله (في وزارة التعليم) سيبدأ في العاشرة صباحاً.
أنزلت السيدة لويزل شالها عن كتفيها أمام المرآة، لتستطيع تأمُّل نفسها في قمَّة بهائها. ولكنَّها صرخت فجأة. فالعِقْد لم يكُن على رقبتها.
سأل زوجها، الذي كان قد خلع نصفَ ملابسه: "ماذا حدث؟".
فاستدارت إليه وقالت هائجة: "أنا.. أنا.. أنا أضعتُ عِقْد السيدة فوريستير".
وتسمَّر في مكانه مذهولاً وقال: "ماذا! كيف؟ هذا مستحيل!".
وبحثا عن العقد بين ثنيَّات ثوبها، وفي جيوبه، وفي كلِّ مكانٍ بالبيت. ولم يجدا شيئاً.
سألها زوجها: "هل أنتَ متأكّدة أنه كان معكِ عندما تركنا الحفل؟".
قالت: "نعم. فقد تحقَّقتُ من ذلك ونحنُ في ردهة الوزارة".
قال: "ولكن لو أضعتهِ في الشارع، فكُنَّا لنسمعَ صوته وهو يسقطُ على الأرض القاسية. لا بُدَّ أنه ظلَّ في العربة".
قالت: "نعم، أعتقدُ ذلك. هل تذكرُ رقم العربة؟".
قال: "لا. وأنتِ؟".
قالت: "لا".
وعندها تبادلا نظرتين منذهلتين، ومن ثمَّ شرعَ زوجها بارتداء ملابسه، وقال: "سأذهبُ لأنظرَ في إثرنا. لعلِّي أجدُ العقد في مكانٍ سرنا فيه".
وخرج من المنزل، وأما هي فقد ظلَّت في ملابس الحفلة، دُونَ أن تكون عندها القدرة على الخُلود إلى السَّرير، فاستلقت على كرسيٍّ مستسلمةً لإرهاقها جسدياً وذهنياً.
عاد زوجها في السابعة صباحاً، دون أن يُوَفَّق في العثور على شيء.
ومن ثمَّ ذهب إلى محطة الشرطة، وإلى مقرِّ الصحيفة اليومية ليُعلِنَ فيها عن جائزة لمن يَجِدُ العقد. وفي النهاية بدأ بالبحث عن أتفه الدلائل الممكنة بالذَّهاب إلى شركة عربات الأجرة.
وانتظرت السيدة لويزل اليوم كُلَّه وهي في حالتها المُنهَارة ذاتها، عاجزةً عن مواجهة الكارثة التي حلَّت بها.
عادَ زوجها إلى البيت في المساء، وكان وجهُ شاحباً ويدلُّ على الإنهاك. ولم يَكُن قد وُفِّقَ للعثور على شيء.

قال: "عليكِ أن تكتبي رسالةً لصديقتك، تقولين فيها أنَّكِ كسرتِ مئزر العقد وأنَّكِ ستعيدينه إليها بعد إصلاحه. سيمنحنا هذا بعض الوقت لنبحث".
وفعلت مثلما قالَ لها.

وبنهاية الأسبوع فقد الزوجان آخر بصيصٍ من الأمل. إذ قال لها زوجها، بعد أن باتَ مظهره يوحي بأنَّه أكبرُ من عمره بخمس سنوات على الأقلّ: "علينا أن نحاول الحصول على عقدٍ آخر".
وفي اليوم التالي أخذا معهما العلبة التي جاءَ العقدُ فيها وذهبا إلى بائع المجوهرات الذي صنعها، فنظرَ في سجلاّته قائلاً: "أنا آسفٌ يا مدام، لكنِّي لم أصنع العِقد نفسه، إنَّما علبته فحسب".
وانتقلا بين بائعي المجوهرات ليبحثا عن عقد يماثل في مظهره العقد المفقود. وحاولَا شحذ ذاكرتَيْهما ليتصوَّرا كيف كان شكله، مقاومَيْن ما أصابهما من القلق والإنهاك.
ووجدا في النهاية، في متجرٍ قرب القصر الملكي بباريس، عقداً من الألماس بدا لهُمَا مطابقاً تماماً لما يبحثان عنه. كان سعره أربعين ألف فرنك، ولكنه خُفِّضَ لهُمَا إلى ستة وثلاثين ألفاً.
ووعدهما صاحبُ المحلّ بأن لا يبيعه لأحدٍ غيرهما لثلاثة أيام، واتفقا معهُ بأن يستعيده مقابل ستة وثلاثين ألف فرنكٍ في حال عُثِرَ على العقد الأصلي قبل نهاية شهر فبراير. وكانت لدى السيد لويزل مُدَّخراتٌ بقيمة ثمانية عشر ألف فرنكٍ من إرث والده، وأما باقي المبلغ فقد استدانه.
إذ أخذ من بعض أصدقائه ألف فرنك، ومن آخرين خمسمئة، ومن بعضهم مئة فرنك أو خمسين. وقد وقَّعَ على تعهُّدات، وأخذ على عاقته إلزاماتٍ مُجحِفة، واضطرَّ إلى عقد اتفاقاتٍ مع جميع شركات القروض التي لا ترحمُ شروطها. وقد دمَّرَ سمعته حتى نهاية حياته، وخاطرَ بوضع توقيعه على أوراقٍ لا يعلمُ لو كان يستطيع الإيفاء بما فيها. وأثناء ارتجافه خوفاً من مستقبله، ومن الأيام الصَّعبة التي تنتظرُه، ومن وَقْع أسوأ أنواع الاستنزاف الجسدي والذهني عليه، حملَ معهُ كلَّ ذلك وذهب إلى متجر المجوهرات ليبتاعَ العقد الجديد، وليضعَ - مقابله - ستة وثلاثين ألف فرنكٍ على طاولة البائع.
أعادت السيدة لويزل العقد إلى صديقتها السيدة فوريستير، فقالت هذه مستاءة: "كان عليك أن تعيديه لي في وقتٍ أقرب، فربَّما كنتُ لأحتاجه".
ولم تهتمّ بفتح العلبة. وكان ذلك ليثير هلع صديقتها، فلو لاحظت أن العقد استبدل، فما الذي كانت ستُفكِّرُ به؟ وما الذي كانت لتقوله؟ هل كانت ستتهِمُها بالسَّرقة؟

لم يَطُل الوقت حتى أدركت السيدة لويزل فظاعة حياة المحتاجين. ولكنها - مع ذلك - أدَّت واجباتها على أكمل وجه، وبكلّ صبرٍ وتفانٍ. فقد كان عليها، هي وزوجها، أن يُسدِّدا دينهما المخيف. وبالتالي فقد عملت لتُسَدِّده: بدءاً بتسريح خادمتهما، ومن ثمَّ إلى الانتقال من بيتهما واستئجار شقة بالية بدلاً منه.
وتعلَّمت عند ذلك صعوبات تدبّر المنزل، والاهتمام بأعمال المطبخ المتعبة. فقد أصبحت تغسل الأطباق، وتفسد أظافرها المُقلَّمة بتنظيف الأواني المُتَّسخة والصحون التي التصقَ بها الشحم. وباتت تغسلُ بيديها القمصان والسراويل والمناشف المستعملة، ومن ثمَّ تُعلِّقها على الحبال حتى تجفّ. وكانت تخرجُ في كلّ صباحٍ لتأخذ أكياس القمامة إلى الحاوية، وبعد ذلك تحملُ على ظهرها دلاء الماء الثقيلة، إذ تتوقَّفُ في كلّ طابقٍ لتلتقط أنفاسها قبل متابعة الحمل. وأمست ترتدي ملابسها العاديَّة المهترئة لتذهب إلى بائع الخضراوات، حاملةً سلّة تحت ذراعيها، لتتفاوض وتتشاجر وتساوِمَ معهُ في سبيل حفظ كلّ قرشٍ تستطيعُ الاحتفاظ به من قروشها.
وكان عليها، هي وزوجها، أن يُسدِّدا أقساطاً في كلّ شهر، وأن يدفعا مصاريف إضافية لتجديد قروضهما، حتى يحصلا على المزيد من الوقت لسدادها.
وأما زوجها فقد عمل ساعاتٍ إضافية في المساء في إعداد نسخ دقيقةٍ عن عقود رجال الأعمال، ولم يَكُن يعود حتى ساعةٍ متأخر من الليل، رغم أنَّه لم يتقاضى أكثر من خمسة سنتاتٍ على الصفحة الواحدة.

ودامت هذه الحياة لعشرة أعوام.
وفي نهاية السنوات العشر تمكَّنا من تسديد آخر قرش. لم تبقَ عليهما أيّ ديون، ولا حتى الفوائد الربويَّة على القروض، ولا المصاريف الزَّائدة التي دفعاها لتمديد فترات السَّداد.

وكانت السيدة لويزل الآن تبدو مثل امرأة طاعنةٍ في السن. فقد أصبحت مثل السيّدات المُعتدَّات والقاسيات والفظَّات اللاتي ينشأن في عائلاتٍ فقيرة. أصبح شعرها أشعث مهملاً، وباتت ترتدي تنانير غير مخيطة جيِّداً، واحمرَّت يداها، وكانت الآن تتكلَّمُ بصوتٍ مرتفع، وتغسلُ الأرض دائماً بدلاءٍ من الماء. ولكن بين الفينة والأخرى، عندما يكون زوجها في عمله، كانت تجلسُ أمام النافذة وتتذكَّرُ تلك الليلة - منذ زمنٍ بعيد - التي كانت فيها محطَّ الأنظار بجمالها وفتنتها.
وتساءلت، كيف كانت لتكونَ حياتها لو تُضِع العقد آنذاك؟ من يدري، فالحياة غريبة جداً وغير مُتوقَّعة. إذ يمكن لحوادث تافهةٍ جداً أن تُدمِّرها تماماً، أو أن تقلبها رأساً على عقب!

وفي صباح يوم سبتٍ خرجت السيدة لويزل لتأخذ جولةً في شارع الشانزليه بباريس، محاولةً إرخاء أعصابها من متاعب حياتها، وفي أثنائها رأت امرأة تسيرُ مع طفلٍ صغير. كانت تلك المرأة هي السيدة فوريستير، التي لا زالت تبدو شابَّة، وجميلة، وجذَّابة.
واضطّربت مشاعر السيدة لويزل، فهل عليها التحدّث إليها؟ وكانت الإجابة هي نعم، بالتأكيد. فقد سدَّدت الآن ما عليها، ولذا أصبحت قادرةً على البَوْح بكلّ شيء، فلمَ لا؟
واقتربت منها وقالت: "مرحباً يا جين".
وظهرت على وجه السيدة فوريستير أمارات الدهشة من أنَّ امرأة غريبة، من الطبقة الكادحة، تخاطبها في الشارع باسمها الأول، وكأنَّها تعرفها جيِّداً. فقالت متلعثمة: "ولكن، يا مدام، أنا لا أعرفك. لا بُدّ أنَّكِ أخطئت بيني وبين امرأة أخرى".
فأجابتها: "لا، لم أخطئك. أنا ماتيليد لويزل".
وصاحت صديقتها: "ماذا! عزيزتي المسكينة ماتيليد، لقد تغيَّرتِ كثيراً".
"نعم، لقد مررتُ بأوقاتٍ مريرة منذُ أن قابلتك آخر مرَّة، بل في الحقيقة، مررتُ بأيَّام تعيسة، وكلّها بسببك!".
"بسببي، كيفَ ذلك؟".
"هل تذكرين عقد الألماس الذي اقترضتُه منكِ لأذهب إلى حفل وزارة التعليم؟".
"نعم. ماذا به؟".
"حسنٌ، لقد أضعتُه".
"كيف يمكن ذلك، لو كنتِ قد أعدتيهِ لي؟".
"لم أُعِد لك العقد الأصلي، بل مثيلاً له، وطوال السنوات العشر الماضية كنا أنا وزوجي نُسدِّدُ ثمنه. أظنُّك تتخيَّلين أنَّ الأمر كان عصيباً بالنسبة لنا، بالنسبة لأشخاصٍ مثلنا ليس لديهم أي شيء. ولكنَّ ذلك كُلَّهُ انتهى الآن، وأنا سعيدةٌ جداً بانتهائه".
وأوقفتها السيدة فوريستير قائلة: "هل تقولين لي أنَّكِ اشتريتِ عقداً من الألماس بدلاً من عقدي أنا؟".
أجابتها: "نعم. لم تلحظي الأمر، أليس كذلك؟ لقد كان نسخةً طبقَ الأصل عن عقدك".
ومن ثمَّ ابتسمت السيدة لويزل بسعادةٍ وتباهٍ طفوليَّيْن.
إلا أنَّ السيدة فوريستير، لتأثّرها الشديد، أمسكت يَديْ صديقتها وقالت لها: "لكن، يا عزيزتي المسكينة ماتيليد! عقدي كان محض نُسخةٍ مُقلَّدة. في أفضل الأحوال، لم تَكُن قيمته لتتعدَّى خمسمئة فرنك!".